

أوروبا خضراء وعالمية





ناتالي توكي

ناتالي توكي ناشطة سياسية إيطالية وخبيرة في العلاقات الدولية، وهي متخصصة في دور الاتحاد الأوروبي في الشؤون الدولية وحفظ السلام، والعلاقة بين الدول الأوروبية. عملت كمستشارة للحكومة الإيطالية ومسؤولي الاتحاد الأوروبي في قضايا السياسة الخارجية

بعد سنوات من أزمة وجودية تعانيها أوروبا، ثمة سبب جديد ينقذها مما هي فيه وهي الصفقة الأوروبية الخضراء وانتقال الطاقة الذي يكمن في صميمها. بحسب مؤلفة هذا كتاب «أوروبا خضراء وعالمية»، تمثل هذه الرؤية الخضراء استراتيجية للنمو الاقتصادي، وطريقاً إلى اتحاد سياسي من شأنه أن يعزز تكامل الاتحاد الأوروبي وشرعيته

يوضح الكتاب الصادر باللغة الإنجليزية عن دار «بوليتي» في ديسمبر 2022 ضمن 240 صفحة، أنه لا يمكن إدراك التغيير نحو أوروبا الخضراء إلا إذا كان يعالج مباشرة التداعيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجوسية لهذا التغيير الأنيق. ويبين كيف تمثل الطبيعة غير المسبوقة لانتقال الطاقة الحالي فرصة فريدة من نوعها وتحدياً كبيراً لازدهار أوروبا في المستقبل. ويجد أن الاتحاد الأوروبي يجب ألا يتصرف في عزلة أو يتجاهل الآثار الضارة للانتقال على الدول الأعضاء والجيران. ويجب أن يعالج أيضاً الانقسامات العالمية التي قد تنشأ مع الصين والعلاقة عبر الأطلسي والجنوب العالمي نتيجة للأجندة الخضراء للاتحاد الأوروبي. بالتالي من خلال تبني نهج عالمي حقيقي تجاه انتقال الطاقة، يمكن لأوروبا الوفاء بمسؤولياتها تجاه الناس والكوكب على حد سواء، وتجنب إطلاق العنان للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية

أوروبا الخضراء مفتاح لإحياء الاتحاد

بداية نوضح أن الصفقة الأوروبية الخضراء في عام 2020، هي مجموعة من المبادرات السياسية التي تولتها المفوضية الأوروبية لجعل الاتحاد الأوروبي محايداً مناخياً بحلول عام 2050. تقول المؤلفة: «بدأت العمل في أوروبا في ذروة مشروع التكامل، في ذروة النظام الدولي الليبرالي. كانت أوروبا على وشك إطلاق اليورو، وكان الاتحاد على أعتاب مرحلة جديدة من شأنه أن يدعم القارة بعد عقود من الانقسام من الحرب الباردة. ارتبطت أوروبا بالقيم والفرصة وحتى القوة. في حين أنها لا يزال، في بعض الأحيان، يعتمد على المظلة الأمنية الأمريكية، لكن يبدو الاتحاد الأوروبي وكأنه يتمتع بنوع مختلف من القوة، ويمكن القول إنه قوة عظمى في حد ذاته. أصبحت أوروبا طموحاً للكثيرين وكان من يعيش فيها يشعر بأنه محظوظ، لكن بدءاً من الأزمة المالية العالمية، تغيرت تلك الصورة بشكل كبير. أصبحت أوروبا أرضاً مملوءة بالانقسام واللامساواة والقيود. بدأ حلم التكامل الأوروبي يصبح كابوساً للكثيرين. بقي الاتحاد متماسكاً، لكنه عانى، وفشل في إيجاد طريقة للخروج من أزمة طويلة. في تلك السنوات التي ركزت فيها جميع طاقاتي على الدور العالمي لأوروبا كنت مقتنعة بأهميته، لأننا نحيا في عالم مرتبط بشكل متزايد ومعقد. ولكن في القرن الحادي والعشرين، «سيكون لدينا مستقبل سلمي ومزدهر فقط إذا تماسكنا معاً في العالم الأوسع

وتضيف: «على خلفية الوباء والحرب الروسية في أوكرانيا، ومع الإحساس المتجدد بالتضامن بين الأوروبيين، أعطت الأجندة الخضراء في أوروبا الاتحاد عقداً جديداً للحياة. أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن أوروبا الخضراء هي مفتاح إحياء

الاتحاد الأوروبي. وبدون ذلك، يخاطر كل شيء في أوروبا بفقدان المعنى بالنظر إلى كل من الإلحاح الاستراتيجي لأمن الطاقة والطبيعة الوجودية لأزمة المناخ. من خلال الأجندة الخضراء، يمكن لأوروبا أن تجد شبابها من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، إذا كان الأمر صحيحاً. تمثل أوروبا الخضراء مشروعاً معيارياً واستراتيجياً واقتصادياً وسياسياً». ومع ذلك، تقول: «ما زلت مقتنعة تماماً بأن الأساس المنطقي لأوروبا في القرن الحادي والعشرين يمكن أن يكون عالمياً بطبيعته. لا يوجد أمر أكثر وضوحاً من تغير المناخ وانتقال الطاقة الذي يشكل موضوع هذا الكتاب. إن الحصول على أوروبا الخضراء يعني أن تصبح عالمية أيضاً».

تجد أن الاتحاد الأوروبي عانى ما يقرب من عقدين أزمة وجودية، من رفض المعاهدة الدستورية إلى أزمة الديون السيادية التي خاطرت بتمزيق منطقة اليورو، وأزمة الهجرة التي كشفت عن عدم وجود تضامن أوروبي، واستفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي الذي أثار شبح تأثير الدومينو عبر أوروبا. تعلق على ذلك: «في الحقيقة كان الاتحاد يتأرجح على الحافة لفترة طويلة جداً. تراجع الاتحاد الأوروبي تدريجياً: لم يعد لديه قصة مقنعة يرويها. لم تعد لرواية السلام في القارة بعد كوارث حربين عالميتين صدى لدى الأجيال الشابة، لا سيما أن الرخاء الأوروبي من خلال السوق الموحدة والعملة أصبح أجوفاً بعد الأزمة المالية العالمية وتفاقم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل وبين الدول الأعضاء. بدلاً من الارتباط بالنمو والتضامن والفرص، أصبح الاتحاد مرادفاً للتقشف واللامساواة وعدم المساواة في عيون العديد من الأوروبيين».

تحديات وضغوط

مع اقتراب عام 2010، فهمت أوروبا ضرورة زيادة أجندة المناخ، وتقديم علامتها التجارية الجديدة: الصفقة الأوروبية الخضراء. كما دقت أجراس الإنذار بصوت أعلى من جانب المجتمع العلمي، وحدثت الضغوط العام المتزايد من حركة «فرايديز فور فيوتشر» بقيادة غريتا ثونبرغ، والعرض القوي للأحزاب الخضراء في انتخابات البرلمان الأوروبية لعام 2019، وأشارت جميعها إلى الاتجاه نفسه: كان يجب رسم العلم الأوروبي الأخضر

عندما اندلعت جائحة كورونا، كان الخوف هو أن الصفقة الخضراء الأوروبية ستوضع على الرف، وسينهار الاتحاد الأوروبي ككل. لو فشل الاتحاد الأوروبي في الارتقاء إلى التحدي الذي مثله الوباء، لكان الأمر أكثر من أن يتحمله المشروع الأوروبي. إذا أعادت «بروكسل» تأكيد صورتها على أنها مفككة ومنفصلة وغير متعاطفة، فإن الصرح الأوروبي بأكمله الذي عزز السلام في القارة بعد قرون من العنف كان يمكن له أن يتجه إلى نقطة اللاعودة. تقول الكاتبة: «تمثل أوروبا الخضراء رؤية معيارية لمحاربة الأزمة الوجودية التي يطرحها تغير المناخ البشري المنشأ؛ استراتيجية النمو الاقتصادي التي تتابع إزالة الكربون من خلال الابتكار؛ خلق فرص العمل، تعزيز القدرة الصناعية وتقليل عدم المساواة، ضرورة استراتيجية لضمان أمن الطاقة، وطريق إلى اتحاد سياسي من خلال تعزيز قضية مشتركة بين الدول الأعضاء وإعادة الاتصال بالجمهور الأوروبي، وخاصة الشباب. من خلال رسم علمه الأخضر، وجد الاتحاد الأوروبي «الوصفة للمساعدة على إنقاذ الكوكب مع إحياء نفسه سياسياً».

وتضيف المؤلفة: «ولأن الأمر وجودي للغاية بالنسبة لمستقبل أوروبا، فإن الحصول على كل من القصة والممارسة الحق أمر بالغ الأهمية. هذا يتوقف على انتقال الطاقة الناجح، لأن الطاقة تمثل 75 في المئة من انبعاثات الغازات الدفيئة في أوروبا. ويكمن انتقال الطاقة في أوروبا في صميم أوروبا الخضراء والمستدامة. إنه أيضاً عمود رئيس لعالم أخضر ومستدام. مع 800 مليون شخص ما زالوا يفتقرون إلى إمكانية الوصول إلى الكهرباء، ومع زيادة عدد سكان العالم بمقدار مليارين على مدار العقود الثلاثة القادمة، فإن نظام الطاقة الحالي غير قابل للاستدامة من الناحية البيئية وغير

كاف اجتماعياً اقتصادياً. وحده نظام الطاقة الأكثر حداثة، وإمكانية وصول الناس إليه يمكن أن يدعم دائرة الحفاظ على الناس والكوكب على حد سواء. يتجلى الطموح الأوروبي في قيادة الطريق نحو هذا التغيير.

انتقال عبر التكنولوجيا والسياسة

ترى مؤلفة الكتاب أنه على مستوى واحد يدور الانتقال الحالي حول استبدال الوقود الأحفوري مع مصادر الطاقة منخفضة الكربون في ضوء الاختراقات التكنولوجية والقرارات السياسية. وتجد أنه سيحدث انتقال الطاقة هذا، تماماً مثل التحولات الأخرى التي حدثت في الماضي. لكن السؤال اليوم ليس ما إذا كان الانتقال سيحدث، ولكن كيف سيتكشف والوقت الذي سيستمر فيه؟

وتجد أنه على مستوى آخر، يبدو أن هذا الانتقال غير مستقر. فحجم التغيير أكبر بشكل لا يضاهي مما كان عليه في الماضي. وتعلق على ذلك قائلة: «إن اتساع وعمق التغييرات في البنية التحتية والمؤسسية والاقتصادية والثقافية والسلوكية التي ستأتي مع هذا الانتقال لا تشبه أي شيء رأيناه من قبل. فالعالم اليوم أكبر من الناحية الديموغرافية. كما أن القوة أكثر انتشاراً، وعدد اللاعبين الذين يجب إدخالهم إلى الصورة أكبر بكثير. سيشمل انتقال الطاقة الحالي ملايين المؤسسات العامة والخاصة والمليارات من الأشخاص الذين سيحتاجون إلى تغيير كيفية شرائهم والعمل والعيش. سيتطلب ذلك مبالغ من المال والمهارات التقنية والقدرات التنظيمية. التعقيد المضمن في الانتقال الحالي لا يشبه أي شيء رأيناه من قبل. إن جعل الانتقال الحالي غير مسبوق ليس فقط حجم التغيير وتعقيده، لكن أيضاً يجب أن يحدث بسرعة البرق. سيكون مدفوعاً ليس فقط بالتقدم التقني والخيارات السياسية لمرة واحدة، لكن أيضاً من خلال الأدلة العلمية الملموسة، والوعي العام المتزايد بالطبيعة البشرية لتغير المناخ وآثاره. اليوم، ليس لدينا ببساطة الرفاهية لانتظار عقود عديدة وتجربة انتقال غير متجانس بشكل كبير يبدأ في أجزاء مختلفة من العالم. يجب أن يحدث الانتقال على مدار العقود الثلاثة المقبلة للوصول إلى مستوى الصفر من الانبعاثات. هذا يعني أنه، على عكس سابقتها، يجب توجيه انتقال الطاقة هذا سياسياً».

وتشير إلى أن التحولات في الطاقة السابقة أفضت إلى تغييرات اقتصادية ومجتمعية وسياسية وفكرية عميقة. على خلفية الحجم المتصور والتعقيد وسرعة الانتقال الحالي، يمكن للمرء أن يتوقع بشكل معقول أن تكون عواقبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجوسية أكثر حدة هذه المرة. وسط هذه التغييرات، سيكون هناك العديد من الفائزين، لكن سيكون هناك خاسرون أيضاً. في الواقع، من المرجح أن تكون المقاومة لهذا الانتقال أكثر صخباً واستهدافاً وبالتالي أكثر فاعلية مما كانت عليه في الماضي. هذا بالتحديد بسبب الطبيعة السياسية لهذا الانتقال. سيتحدث الخاسرون المحتملون داخل البلدان وفيما بينها، مما يثقل على صانعي القرار الذين يعتمد انتقال الطاقة على سياساتهم بشكل حاسم. وبالتالي، فإن الحاجة إلى جعل هذه الطاقة انتقالاً اجتماعياً واقتصادياً، وبالتالي مستداماً على الصعيد السياسي والجغرافي أكثر أهمية من أي وقت مضى. تقول الكاتبة: «هذا الأمر بالتأكيد سيخلف أثراً عميقاً على الأوروبيين والاتحاد الأوروبي. هذا يعني أنه من الضروري صنع أوروبا الخضراء اجتماعياً واقتصادياً، بحيث تكون مقبولة سياسياً وجغرافياً. في الواقع، بالنظر إلى الطبيعة السياسية لهذا الانتقال، فإن قبوله السياسي هو شرط أساسي لتحقيق أوروبا الخضراء».

بنية الكتاب

ينبني الكتاب على ثلاث خطوات متتالية. تركز الخطوة الأولى على المستوى الأوروبي الداخلي، حيث يوضح مسار

سياسات الطاقة والمناخ في أوروبا ويكشف المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لاستدامتها ونجاحها. توسع الخطوة الثانية في الكتاب التحليل إلى المستوى الإقليمي، مع التركيز على الطرق المتعددة التي ستردد بها سياسات المناخ والطاقة في الاتحاد الأوروبي في محيطها المضطرب، إلى الشرق والجنوب، حيث النزاعات والأزمات متعددة الأوجه. سيؤثر انتقال الطاقة في الاتحاد الأوروبي على هذه الطرق بطرق مختلفة، وفي بعض الحالات تولد مخاطر وتحديات جديدة يجب معالجتها، وفي الوقت نفسه، يفتح انتقال الطاقة في أوروبا أيضاً احتمال فرص التطوير الأخضر إلى ما وراء حدودها.

تتحول الخطوة الثالثة في تحليل هذا الكتاب إلى المستوى العالمي، من خلال مناقشة كيف يشكل اتجاهان جغرافيان رئيسيان في القرن الحادي والعشرين، أولاً: التنافس بين الولايات المتحدة والصين، وثانياً: مسألة تداخل العولمة مع انتقال الطاقة. ترى الكاتبة أنه «من المؤكد أن انتقال الطاقة يحمل وعداً بتعزيز الحكم الذاتي والمرونة الأوروبية من خلال تطوير النظم الإيكولوجية الصناعية الخضراء. ومع ذلك، فإنه يولد أيضاً نقاط ضعف جديدة». وتضيف: «إن الانقسام النهائي الناشئ عن انتقال أوروبا هو بين الشمال والجنوب العالمي، ويرتبط بالمسألة الحاسمة المتعلقة بعدالة المناخ. سيتطلب انتقال الطاقة تريليونات الأموال الإضافية التي ينبغي إنفاق معظمها في الاقتصادات النامية والناشئة. من الأهمية بمكان في هذا الصدد تعبئة الأموال الخاصة التي تثير مسألة كيف يمكن للسياسة أن تضمن أن التمويل الأخضر والصناعة لا يستثمران فقط في التقنيات الخضراء في البلدان المتقدمة؛ بل يتوجب القيام بذلك في جميع مناطق العالم المختلفة».

ترجمة وعرض:

نضال إبراهيم